

تحديات مؤسسات التنشئة في تحديث تربية الطفل العربي في ظل العولمة

د. ثريا تيجاني

أستاذة محاضرة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا
جامعة الجزائر "2"

الملخص:

يمثل الأطفال في كل مجتمع زاد وذخيرة لمواجهة المستقبل بكل ما يحمله من تحديات ورهانات. وطفل اليوم هو رجل الغد، ومن ثم فإن تربية الطفل على أسس قوية تخدم المجتمع، تعد من أهم القواعد لتطور هذا الأخير وتقدمه.

تواجه المؤسسات الاجتماعية في الوطن العربي مشاكل عديدة في تربية أطفالها في زمن العولمة، لاسيما أن هذه الأخيرة تحاول تعميم نمط واحد على كل المجالات، الاقتصادية منها والثقافية والتربوية وغيرها. وذلك دون احتفاظ أي بقعة في العالم بخصوصيتها، مما يفرض على مؤسساتنا التنشئية رفع التحديات في تربية الطفل العربي، بإيجاد طرق تربوية حديثة تناسب التغيير الحاصل في العصر الحاضر. وتقوم بتنشئة الطفل العربي على حب العمل والوطن وإتقان اللغة العربية، حتى يساهم في ازدهار مجتمعه والصعود بدولته إلى مصاف الدول المتقدمة.

كما يجب على الدول العربية التكاتف والتعاون لجمع شملها، ومحاولة التقريب بين أنماطها التربوية. يعني إنتاجها لطرق تربوية منبثقة من واقعها، والاشتراك في الجوانب التربوية التي تتبناها بقية المنظومة الدولية دون أن تفقد خصوصيتها كأمة مسلمة، يمكنها أن تقود العالم بأسره. خاصة وهي تملك ثروات مادية هائلة، وثروة بشرية فتيّة تمكّنها من التقدم.

الكلمات المفتاحية :

مؤسسات التنشئة؛ تربية؛ الطفل العربي؛ تحديات؛ العولمة.

المقدمة:

تعددت مفاهيم العولمة وتعريفها واختلفت من باحث إلى آخر، منهم من سماها ظاهرة اقتصادية ومنهم فسرها بالهيمنة الأمريكية، ومنهم من أطلق عليها ثورة تكنولوجية واجتماعية. وسوف نعرض تعريفاً واحداً في هذا الإطار يجمع بين الآراء التي وردت حول العولمة. حيث عرفها إسماعيل صبري تعريفاً شاملاً بقوله: "هي التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والسياسية والثقافة والسلوك دون امتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية" <http://www/saaid.net/Doat/mobarak/5.htm>

نستخلص مما سبق أن العولمة جاءت لتقضي على مفهوم سيادة الدولة، والقضاء على الحدود الجغرافية، وتعميم النظام الرأسمالي واعتماد الديمقراطية كنظام سياسي عام للدول، إذن فهي لم تكن نتيجة تفاعل حضارات غربية وشرقية انصهرت في بوتقة واحدة، بل لمثل سيطرة قطب واحد على العالم، وإذا اعتبرنا ذلك تحديثاً لتربية أطفالنا فنحن نسخر من أنفسنا، بل نجدد قبول الاستعمار بكل أنواعه، لذلك نرى أن تحديث تربية الطفل العربي بتنشئته على حب وتقدير ثوابت العالم العربي والإسلامي، المتمثلة في التاريخ واللغة والدين والتربية والتعليم، والتراث العربي. وبذل كل مؤسسات التنشئة جهداً كبيراً لتجعل أطفالها حماة سيادتها وثوابتها، ونحن سنكتفي بعرض الدور الذي تقوم به الأسرة والمدرسة، والتنشئة والتربية والتعليم والدين، في تحديث تربية الطفل العربي في عصر العولمة.

دور التنشئة في تحديث تربية الطفل العربي:

إن الأطفال زاد المجتمع يتغذى منه ويحضرهم لبناء مستقبله، ويكون ذلك بتنشئتهم تنشئة تخدم مصالحه . ويكون ذلك على عاتق مؤسسات التنشئة بشتى أنواعها، التي تستخدم التربية كأداة تجعل من الطفل ركيزة يعتمد عليها المجتمع في تقدمه وازدهاره. حيث درس الكثير من الباحثين ظاهرة التنشئة الاجتماعية، وعرفوها تعاريف مختلفة، واختارنا التعريف الذي يرى: أنها الأسلوب الذي يعمل من خلاله المجتمع على تكامل أفراد، والعملية التي يتعلم بمقتضاها الأفراد عملية التكيف في مجتمعهم. وهذا يعني أن كافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، من أسرة ومدرسة ومسجد، ومؤسسة الشغل ووسائل الإعلام، وجماعة الأقران، تشارك في تكوين الهوية. وذلك يجعلنا نقول أن التنشئة الاجتماعية تصنع السلوك الفردي، بما تنقله إليه من السمات الثقافية، والتاريخية والاجتماعية، وما تعلمه من نشاطات في شتى المجالات، وبما تزوده به من قدرات تتفاعل مع المحيط الذي يعيش فيه، وتجعله يخزن القيم والثقافة السائدة في مجتمعه، ويكون ذلك على مراحل متعددة (محمد السويدي، 1991، ص 233).

لا يحدث أي تطور أو تغير اجتماعي إلا بفعل السلوك الذي يصدر عن الفاعلين في المجتمع. ولا نستطيع فهم سلوك أفراد المجتمع صغاراً أو كباراً، إلا بواسطة تحليل عملية التثقيف المتعلقة بالتنشئة، لذلك نستطيع القول أن هذه الأخيرة تمثل أهم وظائف المؤسسات الاجتماعية، وهكذا تمثل التنشئة الاجتماعية مرسخاً قوياً للقيم التربوية لدى الأفراد والجماعات، وتحديثها لدى الأطفال، ونتطرق إلى دور الأسرة في تحديث تربية الطفل العربي.

دور الأسرة في تحديث تربية الطفل العربي:

إن الفرد لا يخضع لسلطان جماعة أخرى سابقة للأسرة، لذلك فإن عملية تزويد الفرد خاصة الطفل بالعادات والتقاليد التي ينشدها المجتمع، والتي تتم في محيط الأسرة تكون عميقة الأثر. وتمثل الوسط المرجعي الذي يقوم بتلك العملية عن طريق التفاعلات والخبرات التي يحصل عليها الفرد والجماعة التي ينتمي إليها. وتمثل الأسرة كجماعة أولية المحور الأساسي لتحقيق الإرضاء والإشباع النفسي، كما تعد المسئولة عن إبراز الطبيعة الإنسانية، فهي مهد الأخلاقيات، وتصلح كأداة ضبط اجتماعي لما لها من قدرة فائقة على معاقبة الفرد على الانحراف ومكافأته على الامتثال.

إن الأسرة كمؤسسة تزود الطفل في سنواته الأولى بمختلف الخبرات. وتتحدد مكانة الفرد في المجتمع بصفة أساسية بواسطة ثقافة الأسرة ومكانتها، وتعتبر الأسرة في كل المجتمعات أكثر الجماعات تماسكا. لذلك تيسر فيها عمليات الاتصال وتنشط عملية انتقال العادات والاتجاهات (ثريا التجاني، 2011، ص. 107-108).

تقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية منذ سن الولادة بهدف تيسير إدماج الطفل في إطار ثقافة مجتمعه، وتبذل جهدا متواصلا لتشكيل شخصية الطفل، وتوفير الظروف التي تسمح له بالتفاعل مع الآخرين بهدف تمثل قيم مجتمعه ومعايير الاجتماعية (يوسف قطامي، 2008، ص 45).

ويكمن دور الأسرة العربية في تحديث تربية الطفل العربي في تربيته تربية سليمة، نابعة من واقع مجتمعه. حيث تعلمه وترسخ لديه ثوابت الوطن العربي منذ نعومة أظافره، وتنمي لديه الشعور بالانتماء إلى الوطن العربي، وحب التاريخ العربي عن طريق سرد قصص مشوقة تجعل الطفل يعتز بتاريخه دون مغالاة. وكذلك غرس الإيمان بالدين الإسلامي، وتعليمه اللغة

العربية بطريقة سليمة لجعله يكتشف، ويبدع بواسطتها في البحث العلمي مستقبلا.

دور المدرسة في تحديث تربية الطفل العربي:

تعد المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية، التي أنشئت لتقوم بدور تربوي وفق ما يحدده لها المجتمع، وتمثل المدرسة الأداء التربوية الفعالة لإحداث التغيير الثقافي والاجتماعي، والاقتصادي والسياسي في المجتمع، وتعتبر العلاقة بين المدرسة والمجتمع علاقة عضوية ومتبادلة، لأنها تؤثر في حياة المجتمع عن طريق تأثيرها في تشكيل حياة الأفراد بواسطة التربية والتعليم، والتنشئة من خلال مناهجها وأساليبها التربوية. ويظهر لنا تأثير المدرسة في المجتمع من خلال ما تخرجه من أفراد، يمثلون النتيجة النهائية لجهودها ووظيفتها فيه، أما تأثير المجتمع في المدرسة فيظهر عندما يحدد لها الإطار الفلسفي والأهداف التي تعمل على تحقيقها (أحمد محمد بدح، 2011، ص 1120).

ويرى الباحث الأمريكي جون ديوي أن المدرسة ليست مكانا لتلقين المعلومات وتكوين العادات من أجل المستقبل البعيد، بل تمثل صورة مصغرة للحياة الاجتماعية ويقول في هذا الصدد: "إنني أعتقد أن المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية، ومن حيث أن التربية عملية اجتماعية، فالمدرسة صورة للحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع الوسائط التي تهىء الطفل إلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية، لذلك كانت التربية عملية من عمليات الحياة، وليست إعدادا لحياة مستقبلية. ويجب أن تمثل المدرسة الحياة الحاضرة، الحياة التي تشبه في واقعيتها وأهميتها للطفل حياته في البيت أو البيئة المجاورة له، أو الفناء الذي يلعب فيه " (حروش موهوب، 2008، ص 131-132).

ونتعرف على رأي الباحث البيداغوجي السويسري أدولف فيريير (Adolf Ferrière) رائد التربية الحديثة في المدرسة من خلال قوله: "المدرسة والحياة عبارتان متناقضتان حالياً. فحياتنا المتمدنة معقدة جداً على الطفل... ومن المستحيل عليه بانغماسه فيها أن يعيش حياته المشردة. لهذا كان من المرغوب أن تقدم له حياة مبسطة، تكون نواة للحياة المتمدنة، هل يمكن للمدرسة أن تخلق في داخلها هذه الحياة ؟ فإذا كان من المستحيل إدخال الحياة في المدرسة، فمن الواجب أن تخرج المدرسة إليها بالطرائق التي تستند بها إلى الحياة، فتحمل إليها تلامذتها وتقدم لهم ما هو في مستواهم (المرجع نفسه، ص 138).

إذا لاحظنا الرأيين السابقين حول المدرسة نجد أنهما متكاملان، أحدهما يرى أن المدرسة صورة مصغرة للحياة الاجتماعية داخلها، لذلك علينا أن نبسط تلك الحياة للطفل حتى يستطيع أن يتأقلم معها، أما الثاني فيرى أن المدرسة والحياة شيئين متناقضين، لأن الحياة المتمدنة معقدة بالنسبة للطفل ويصعب عليه فهمها بسرعة، لذلك وجب علينا أن تخرج بالطفل إلى تلك الحياة، ونبسطها له لتكون نواة التمدن بالنسبة له . ونستخلص مما سبق أن المدرسة مؤسسة اجتماعية تربّي الطفل وتعلمه كيف يكون فاعلاً في الحياة الاجتماعية، وتزوده بمعارف تجعله يخدم مصالح بلده ومجتمعه إذا انطلقت من واقع محيطها الأصلي. وقد تجعل من الطفل معولاً لهدم بلده إذا كان التعليم فيها يعتمد على برامج أجنبية بعيدة عن المحيط الاجتماعي المتواجدة فيه، مثل البرامج التعليمية التي وضعها الاستعمار في البلدان العربية التي كانت مستعمرة مما يكرس التبعية فيها كما يظهر ذلك في واقع العالم العربي حالياً.

ونحن نرى أن دور المدرسة في تحديث تربية الطفل العربي، يكمن في قيام هذه الأخيرة بواجبها في تعليم الطفل ما يجعله يعتز بلغته ووطنه، ويكون ذلك بالجمع بين الوسائل التربوية التقليدية والحديثة في تكوين الطفل حتى تكون الصورة واضحة أمامه. ويستوعب عدة بدائل يستفيد منها ويستعمل كلاً منها عند اللزوم. وأن تقوم معاملة الطفل في المدرسة على أسس علمية مدروسة من قبل متخصصين في علم النفس، وخبراء في علم الاجتماع. وهكذا تمنح المدرسة للطفل العربي التوازن النفسي والاجتماعي، وتجذبه إليها من خلال المعاملة الطيبة والبرامج الجيدة، الشيء الذي يمكنها من تحديث تربيته في ظل العولمة. وستعرض لأهم الوظائف التي تقع على عاتق الأسرة والمدرسة التي تتقثل في التربية والتعليم واللغة.

أ. أهمية التربية في تحديث تربية الطفل العربي:

يتبنى الكثير من الباحثين تعريف دور التليم الذي يرى: أن التربية هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة، على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل إعدادها للحياة الاجتماعية. وهي تعمل على تكوين مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند العقل وتنميتها لديه (إميل دور كايم، ترجمة علي أسعد وطفة، 1994، ص 67-68). كما يمثل هذا المصطلح عند (ك هاريس K. Haris)، "ضرورة اجتماعية اقتضتها حاجة المجتمعات لنقل المعرفة، وتراكمها بين الأجيال المتعاقبة" (محمد بومخلوف وآخرون، 2008، ص 22).

تمثل التربية قواعد يتلقاها الفرد في مراحل عمره المختلفة منذ الطفولة وحتى الشيخوخة من خلال علاقاته الأولية (الأسرة، والمدرسة، والزملاء...) وتعاونته تلك القواعد والخبرات اليومية التي يتلقاها في تحقيق التوافق الاجتماعي مع البناء الثقافي المحيط من خلال اكتساب المعايير

الاجتماعية والاتجاهات والقيم السائدة حوله، كما تسهم في التوافق بين دوافع الفرد ورغباته ومطالب واهتمامات المحيطين به، وبذلك يتحول الفرد من طفل متمركز حول ذاته ومعتمد على غيره، هدفه إشباع حاجاته الأولية إلى فرد ناضج يتحمل المسؤولية الاجتماعية، ويدركها ويلتزم بالقيم والمعايير الاجتماعية السائدة، فيضبط انفعالاته ويتحكم في إشباع حاجاته وينشئ علاقات اجتماعية مع غيره هذا ومن المعروف أن الطفل ينمو في إطار اجتماعي يشمل أولا الأسرة والجيران ورفاق اللعب ثم المدرسة وغيرها من المؤسسات التربوية التي تعنى بتربية وتنشئة الطفل، والأسرة في وضعها الأساس عبارة عن وحدة إنتاجية بيولوجية تقوم على زواج شخصين و يترتب عن ذلك الزواج نتائج من الأطفال وهنا تتحول الأسرة إلى وحدة اجتماعية تقوم بوظيفة هامة حيث يتعلم الطفل فيها كثيرا من أشكال السلوك الاجتماعي، فهو يتعلم كيف يعيش وكيف ينمو وتتكون شخصيته وعاداته واتجاهاته وميوله، فيشعر الطفل فيها بأنه مرغوب فيه ومحبوب، ويحقق من خلالها حاجاته النفسية عن طريق الوالدين والإخوة، ويعتبر تحقيقها الدعامة الأولى لتقوية الروابط الوجدانية بين الأطفال.

وتعتبر الأسرة المسرح الأول الذي ينمي فيه الطفل قدراته عن طريق اللعب ومشاركته الآخرين في لعبه وكيفية القيام بالأدوار الاجتماعية المختلفة. ويتعلم الطفل داخلها ألا يكون أنانيا، بمعنى يتعلم أن يحترم حقوق وملكية غيره من أفراد المجتمع، ويتعلم المبادئ الأساسية التي يسير عليها في التعامل مع الغير، ويكون ذلك عن طريق ملاحظته لسلوكهم واستجاباتهم في المواقف المختلفة، كما يتعلم الطفل في أسرته أساليب الضبط الاجتماعي.

نستخلص مما سبق الدور الذي تساهم به ال تنمية في تأهيل ال طفل لخدمة وطنه، ويدخل تحديث تربية الطفل العربي ضمن ال تحديات التي ترفعها مؤسسات التنشئة في الوطن العربي.

ب. التعليم:

يؤثر نظام التعليم تأثيراً قوياً في بناء المجتمع الذي يسود فيه . فالجمهور الذي يسود ه نظام تعليمي يهتم أساساً بالقيم وال اتجاهات الجديدة ويفتح الباب للتعليم في مرا حله المختلفة لأبنائه بدون تمييز أو معوقات ويحترم الفروق الفردية ويشجع على الابتكار والخلق يتصف بأنه جمهور واسع الأفق جاد التفكير عملي الا اتجاهينزح إلى التجديد والابتكار. وترى الدكتورة جهمان رش بي أن هناك ارتباط ا إيجابيا بين مقدرة الفرد الذهنية ودرجة استيعابه للرسالة الإعلامية.

معنى هذا أن استيعاب الأفراد للمعلومات أكبر دائماً عند الذين حصلوا على نصيب أكبر من التعليم الذين يتمتعون بقدرات ذهنية عالية . ذلك لأن الهدف من التعليم يكمن في تهيئة المواطنين ليكونوا أعضاء نافعين وفعالين في المجتمع، بتحضير الفنيين والأخصائيين اللازمين لتسيير الاقتصاد الوطني وباقي المجالات الأخرى.

لذلك نرى أن تحديث تربية الطفل العربي يربط التعليم بين الدراسة والعمل، حتى لا يكون ميدان العمل غريباً عن الفرد بعد إنهاء دراسته . وتكون المدرسة بذلك قد حضرت الإطار المناسب للمكان المناسب، وذلك بتروسيخ حب العمل الجدي في ذهن الطفل العربي، لأنّ الدول لا ترقى إلّا بالعمل، وبالتالي يكون الحديث التربوية بتعويد الطفل العربي على روح المبادرة، والثقة بالنفس والاستقلالية دون مبالغة، والقدرة على التفكير الإبداعي وفهم

العلاقة بين العناصر واستخلاص النتائج، والقدرة على التكيف مع المستجدات.

ج. دور اللغة في تحديث تربية الطفل العربي:

إن أهمية اللغة في العملية التربوية مهمة جدا، ويقول اللساني الفرنسي ده سوسر أنها: "أشبه ما تكون مؤسسة اجتماعية مثلها في ذلك مثل أي مؤسسة أخرى" (فرديناند ده سوسر، 1986، ص 21). وتعد اللغة عاملا أساسيا للحفاظ على استمرارية التاريخ والحضارة، وتؤثر في العملية التعليمية للطفل. إن استعمال اللغة العربية في التدريس في مرحلة الابتدائي، يؤدي حتما إلى استعمال نصوص تعبر عن حضارة الأمة العربية وثقافتها سواء كانت لكتاب عرب قدماء أو معاصرين، فهم يعبرون بطريقة واحدة نتيجة للتاريخ والأمال المشتركة، فيتشبع الطفل العربي بمبادئ حضارته وثقافته. ويؤدي أي تغيير للغة إلى قطع هذه الاستمرارية والصلة بآثار الأجداد مما يؤدي إلى ظهور طفل يجهل ماضي بلده، ولا يعرف إلا ما يكتب أو يترجم له إلى اللغة الجديدة، وبالتالي يتم القضاء على إحدى مقومات شخصيته ويسهل التأثير عليه من قبل الدول المستعمرة.

"وينتج عن استعمال أي لغة أخرى غير اللغة العربية في المجالات الهامة والحساسة، التبعية الفكرية والتأثر بطرق التفكير والبحث والتنظيم عند أصحاب اللغة المستعملة. ونحن نعرف أن الوطن العربي يستعمل لغات البلدان المستعمرة له سابقا، وبالتالي نرى أن بلدان المغرب العربي غالبا ما تسيطر عليها اللغة الفرنسية، أما بلدان المشرق العربي فتسيطر عليها اللغة الإنجليزية، ونتساءل كيف يكون الوضع عند التغيير الكلي للغة الأصلية غيرها؟ وما يترتب على ذلك من اختلاف العادات والتقاليد ومناهج وأهداف التربية؟ (بوفلجة غياث، 1993، ص 20-21). ونرى ذلك في نموذج بعض

الدول في الخليج العربي، التي أصبح فيها تعليم جميع المواد في الجامعة باللغة الإنجليزية بما فيها الأدب العربي والشريعة. ويعتبر المسؤولون عن ذلك هذا تحديثاً للتعليم والتربية.

أما نحن فنرى أن دور اللغة في تحديث تربية الطفل العربي، يكمن في العودة إلى ترسيخ العادات والتقاليد الجيدة في الوطن العربي لدى الطفل، وتعليمه الأساسي باللغة العربية وإتقانها مع تعليمه اللغات الأخرى حتى يتفتح على ما يجري في العالم، وينشأ على احترام ثقافته ولغته وبالتالي يحترم نفسه وبني جلدته، حتى يستطيع أن يساهم في تقدم وازدهار بلده. ولم يذكر التاريخ بلداً تقدم بغير لغته، ولنا في التاريخ عبرة حيث كان الأوروبيون في العصور الوسطى يتسابقون إلى تعلم اللغة العربية، حين كانت الحضارة العربية في أوج ازدهارها، واستعانوا بترجمة العلوم منها في بناء نهضتهم الحديثة. ومن المؤسف أن نجد اليوم من العرب من ينكر علمية اللغة العربية، لذلك نرى أن أحد عوامل تحديث تربية الطفل يكمن في إرجاع هيبة اللغة العربية بواسطة جعلها اللغة الأساسية للتعليم في المدارس العربية، وجعل اللغات الأخرى روافد لها.

دور الدين والتراث العربي الإسلامي في تحديث تربية الطفل العربي:
لقد اهتم الإسلام بتربية الطفل وتحضيره لقيادة الدولة لاحقاً، وجعله يتأقلم مع التغيرات التي تطرأ في أي وقت، كما لنا في تراثنا العربي أسوة في التربية بما أنتجه المجتمع العربي من رجال ونساء، خاضوا معارك لإخراج الاستعمار من البلدان العربية. وربوا أبناءهم على الإيمان وحب الوطن، ما جعل هذا النشء يخدم بلدانه بفعل التربية التي تلقاها من سلفه. وذلك اقتداء بقول عمر ابن الخطاب ربوا أبناءكم لزمان غير زمانكم. أما العولمة

فتسعى إلى جعل المادة أو المال ديانة يقدها في عصر التكنولوجيا، حيث قال بنيامين كريم أحد قادة حركة العصر الجديد سنة 1982: "ما هي الخطة؟ إنها تشمل إحلال عالمية جديدة، وديانة جديدة"

<http://www.saaaid.net/Doat/mubarak/5.htm>

نفهم من هذا أن العولمة حرب دينية تحاول أن تجعل عبادة المادة فوق كل الديانات. وقد أثرت هذه الأخيرة على القيم الدينية بإحلال ما سماه روجي غارودي (عبادة إله الكمبيوتر بدل عبادة الله تعالى)، وأثرت على القيم التربوية بتغيير التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب "تناسب عصر العولمة، وجعلت الأنانية بديلاً عن كل قيم الضمير (حيدر حميد الدهوي، 2004، ص 35). كما تحاول استغلال دول العالم خاصة الدول العربية بتجريدتها من ثوابتها، خاصة الدين واللغة والتاريخ، وإقصاء الإسلام من عالميته، لأنه دين يخاطب جميع البشر، ودين عالمي يصلح لكل زمان ومكان. والدليل على ذلك العبارة المكتوبة على أحد وجهي الدولار تحت الهرم غير الكامل (Novus order seclorum). وهي عبارة لاتينية مأخوذة من شعر فرجيل الروماني القديم، تعني (نظام جديد لكل العصور)

<http://www.saaaid.net/Doat/mubarak/5.htm>). وبالتالي نستخلص الفرق بين مصطلحي العولمة والعالمية، ويعني الأول تجريد الدول من خصوصياتها. أما الثاني فيجعل الدول تتفتح على العالم مع الاحتفاظ بخصوصياتها من دين ولغة وباقي الثوابت، التي تحرص على المحافظة عليها والتي تشكل تراثها. مثل تراثنا العربي الذي يكاد يضيع في خضم العولمة، وهذا يعني أن هذه الأخيرة تحاول طمس التراث العربي الإسلامي في الدول العربية وتحل محله ثقافتها وتراثها. وهذا ما حاولت الدول المستعمرة القيام به أثناء استعمارها لتلك الدول. وهي تحاول الاستيلاء على هذه الدول من جديد من خلال الغزو

الثقافي، وبالتالي نستشف من خلال ذلك عودة الاستعمار القديم بأسلحة جديدة، تتمثل في الإنترنت أداة العولمة للاستيلاء على الخيرات المادية والخبرات البشرية للوطن العربي، بسبب الأزمة الاقتصادية، التي تتخطى فيها الدول العربية خاصة أمريكا.

وهذا ما يمثل امتدادا معرفيا ووظيفيا في إحداث التحديث في هذا العالم المعاصر. إذا فالدول الغربية مرت بعصور إقطاعية طويلة، انتقلت منها إلى مجتمعات صناعية بعد الثورة الصناعية مستخدمة في ذلك المواد الخام التي تستوردها من مستعمراتها (محمد الجبر، 2003، ص 30). وجاء التطور الفكري نتيجة خبرات طويلة في التعليم ونشر الثقافة التي قامت على أيدي رجال الدين، كما تختلف النظم السياسية في الدول العربية، كما أن طبيعة وظروف مجتمعاتنا العربية عن ظروف المجتمعات الغربية، لذلك فالنموذج الغربي ليس النمط المثالي الذي علينا إتباعه والسعي إليه لاسيما في تربية أطفالنا (المرجع نفسه، ص 30). إذ توجد نماذج أخرى حديثة في العالم نستطيع الاستعانة بها في وضع سياسة تحديث تربية الطفل العربي، مع البحث داخل النموذج التقليدي لدينا في التربية، ومحاولة تحديثه بإدخال آليات حديثه ناجعة نابغة من واقعنا العربي المسلم، وأخرى قريبة من واقع مجتمعاتنا العربية ولا يكون هدفها الاستعمار مثل الدول الغربية.

قد نجد في النموذج الياباني أو الصيني أو الهندي أو الماليزي رافدا نستعين بتجربته، لكن الأمر الذي يجب أن يعرفه قادتنا أنّ مجتمعاتنا لها خصائص مميزة، وتراثا اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ونفسيا، يمكنها من تكوين نموذج خاص بها يسير جنباً إلى جنب مع النماذج الغربية الحديثة وغيرها، لأن التحديث في الغرب كان نتيجة للتصنيع، بينما عملية التحديث

في مجتمعاتنا تؤدي إلى التصنيع. لذلك فالثورة في سبيل التحديث واجبة في كل دولة من الدول النامية... وبالتالي تكون ثورة حضارية شاملة من أجل تقدم البلد وليس لهدمه وإعادة بناءه، وهكذا نستطيع القول أن التحديث طريق ثوري للتقدم (المرجع نفسه، ص 31).

أما تحديث تربية الطفل العربي في رأينا يكون من خلال جعله يؤمن بأنه يستطيع أن يساهم في تقدم بلده وازدهاره بإرادته ومثابرتة على العمل بجدية، وذلك في إطار دينه وتاريخه ولغته، هذه الأشياء لا بد أن نذكره بها دائما بعيدا عن التطرف. فالإسلام جاء لتغيير المجتمع الجاهلي، وتمكن من ذلك وكان له باع كبير في إدخال التمدن إلى المجتمع البدوي آنذاك. ويقول المفكر المغربي المهدي المنجرة في ذلك : لقد جاء الإسلام كرؤيا لتغيير مجتمع معين في وقت معين، وجاء بوسائل للتغيير على رأسها القرآن والسنة كنصين صالحين لكل زمان ومكان، مما يعطي لديننا الحنيف حركية تتأصل عنه الجمود والسرلئون، المشكلة هي وجود طبقة من المتزمتين الرجعيين تسلطوا على المسلمين من ذ الفقهاء الذين أقفلوا باب الاجتهاد " (المهدي المنجرة، 1991، ص 354).

الخاتمة:

نختم مقالنا بقول وزير التربية الجزائري السابق علي بن محمد: "إنّ التربية مهما كانت راقية، إذا لم تكن وطنية فليست بتربية، وأن التكوين مهما كان عاليا، إذا لم يكن بلغة البلاد فسيبقى ناقصا أبترا، وربما ترتب عليهما انحرافات تحيد بنا عن الجادة. وتضلنا عن وجهتنا الصحيحة السليمة، وإن إحلال لغتنا مكانتها الجديرة بها في التعليم والإدارة، ومختلف مظاهر الحياة اليومية والقومية، ولا يقل أهمية في نظرنا عن أي مشروع من مشاريعنا الثورية الكبرى (علي بن محمد، 2001، ص 7).

ويمكن تحديث تربية الطفل العربي في ظل العولمة التي صنعت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس، فأصبحت المجتمعات بقيمها العامة كالمدينة التي فتحت للتو على يد جيش غازي عيث فيها فسادا، (حيدر حديد، 2004، ص 35)، وقيام مؤسسات الت نشئة الاجتماعية بكافة أشكالها بترسيخ ثوابت المجتمعات العربية في ذهن الطفل العربي، وجعله يعتز بلغته ودينه وتاريخه، وغرس قيمة الوطنية والشعور بالانتماء إلى الأرض التي ولد عليها والمجتمع الذي يعيش فيه، ليشب الطفل العربي على التفكير في خدمة الوطن العربي والارتقاء به إلى مصاف العالم المتقدم.

ونؤي أن الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام القديمة والحديثة في تحديث تربية الطفل العربي، يكمن في الخدمات التي تقدمها لهذا الأخير بعرض العادات والتقاليد العربية الإيجابية في أحسن صورة، تعيد له الثقة بنفسه وبوطنه. وتجعله يؤمن بإمكانياته وقدرته على الإبداع والاختراع لأفضل التكنولوجيات التي تمكن الوطن العربي من التقدم والازدهار انطلاقا من معطيات واقعنا للوقوف على مواطن التخلف والقضاء عليها.

كما يكون ذلك بتشجيع انخراط أطفال الوطن العربي في المنظمات الكشفية، التي تعودهم على الاعتماد على النفس وتنشئ العمل ونبذ الاتكال على الآخرين. وتكمن أهم مهمة المؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحديث تربية الطفل العربي، في تخليصه من الشعور بمركب النقص أمام الغرب. وذلك بجعله يشعر بأهميته في المجتمع والاعتماد عليه في احتلال مراكز الريادة في المستقبل عن طريق اكتساب العلم والمعرفة لخدمة الوطن العربي.

المراجع:

- 1 - أحمد محمد بدح، درجة تطبيق مفهوم المدرسة المجتمعية في تنمية المجتمع المحلي في الأردن من وجهة نظر مديري المدارس، كتاب بحوث المؤتمر العلمي الرابع (التربية والمجتمع الحاضر والمستقبل) ، جامعة جرش الأردن 2011.
- 2 - إميل دوركهايم، التربية والمجتمع، ط 2، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1994.
- 3 - بوفلجة غياث، التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998.
- 4 - ثريا التجاني، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، الجزائر 2011.
- 5 - حروش موهوب، التربية والبيداغوجية من أفوا هالمربين، موفم للنشر، الجزائر 2008.
- 6 - حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم، ط 1، دار علاء الدين للنشر، دمشق 2004.

- 7 - علي بن محمد، معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية، ط 1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2001.
- 8 - فرديناند ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986.
- 9 - محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، ط 1، المؤسسة الوطنية، الجزائر 1991.
- 10 - محمد بومخلوف وآخرون، واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري (القطيعة المستحيلة)، ط 1، دار الملكية للنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر 2008.
- 11 - محمد جبر، رؤية معاصرة في قضايا التحديث والعلمانية، ط 1، دار علاء الدين للنشر، دمشق 2003.
- 12 - المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى (مستقبل الماضي وماضي المستقبل)، ط 1، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر 1991.
- 13 - يوسف قطامي، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل، الشرطة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة 2008.
- 14 - <http://www/saaaid.net/Doat/mobarak/5.htm>